

الاستاذ : مختار قندوز

الدرس الخامس : تحليل نص موجه لطلبة السنة الثانية (الافواج 13.12.09.08.07)

أيها المارون بين الكلمات العابرة

محمود درويش - فلسطين

-

أيها المارون بين الكلمات العابرة
احملوا أسماءكم وانصرفوا
واسحبوا ساعاتكم من وقتنا، و انصرفوا
وخذوا ما شئتم من زرقاة البحر و رمل الذاكرة
و خذوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا
انكم لن تعرفوا
كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء

أيها المارون بين الكلمات العابرة
منكم السيف - ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار- ومنا لحمنا
منكم دباباة أخرى- ومنا حجر
منكم قنبلة الغاز - ومنا المطر
وعلينا ما عليكم من سماء وهواء
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا
وادخلوا حفل عشاء راقص .. و انصرفوا
وعلينا ، نحن ، أن نحرس ورد الشهداء
و علينا ، نحن، أن نحيا كما نحن نشاء

أيها المارون بين الكلمات العابرة
كالغبار المر مروا أينما شئتم ولكن
لا تمرروا بيننا كالحشرات الطائرة
خلنا في أرضنا ما نعمل
و لنا قمح نربيه و نسقيه ندى أجسادنا
و لنا ما ليس يرضيكم هنا
حجر.. أو خجل
فخذوا الماضي ، إذا شئتم إلى سوق التحف
و أعيّدوا الهيكل العظمي للهدد ، إن شئتم
على صحن خزف

لنا ما ليس يرضيكم ، لنا المستقبل ولنا في أرضنا ما نعمل

أيها المارون بين الكلمات العابرة

كدسوا أو هامكم في حفرة مهجورة ، وانصرفوا
وأعيدوا عقرب الوقت إلى شرعية العجل المقدس

أو إلى توقيت موسيقى مسدس

فلنا ما ليس يرضيكم هنا ، فانصرفوا

ولنا ما ليس فيكم : وطن ينزف شعبا

وطن يصلح للنسيان أو للذاكرة

أيها المارون بين الكلمات العابرة

آن أن تنصرفوا

وتقيموا أينما شئتم ولكن لا تقيموا بيننا

آن أن تنصرفوا

ولتموتوا أينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا

فنا في أرضنا ما نعمل

ولنا الماضي هنا

ولنا صوت الحياة الأول

ولنا الحاضر ، والحاضر ، والمستقبل

ولنا الدنيا هنا .. والآخرة

فاخرجوا من أرضنا

من برنا .. من بحرنا

من قمحنا .. من ملحنا .. من جرحنا

من كل شيء ، واخرجوا من ذكريات الذاكرة

أيها المارون بين الكلمات العابرة !

1- سياق القصيدة:

ثارت إسرائيل ضد هذه القصيدة، كأنها تثور ضد خطر كوني يهدد كيائها، و هكذا الشعر، إنه القوة التي لا تصمد أمام اختراقاتها البهية، أية قوة في العالم، حتى و إن كانت إسرائيل التي تفعل ما تشاء بالأمم و الحضارات أمام كاميرات العالم، و هي على يقين أن أحدا لن يجرؤ على اعتراض مشاريعها التدميرية للأرض و الإنسان في فلسطين العريقة.

يقول محمد بنيس عن سياق قصيدة: عابرون في كلام عابر لمحمود درويش، مايلي: ” أبرزت القصيدة أن الإسرائيلي بحاجة إلى عدو، به يتعرف على نفسه، و به يبرر ما يشاء في فلسطين و في كل مكان. لذلك كانت “هستيريا القصيدة” تتجاوز حدود القصيدة، من الكنيست إلى أمريكا و أوروبا إلى المحكمة في باريس. هستيريا ضد أن يكون الفلسطيني واضحا تماما، عندما ينتخب الحجر ليحرك مدار الأسئلة “من الحدود إلى

الوجود"، و عندما يصعد بالكتابة إلى أفق قول ما لا يقال. هكذا تكون قصيدة عابرون في كلام عابر " كتابة مع زمن الانتفاضة، و بها يتأكد، ثانية، أن محمود درويش شاعر أدرك، منذ فترة طويلة، أن الشعر توأم الفكر، و أن الشعر يصوغ، في حدثتنا، قضايا الوجود الفردي و الجماعي، من غير تهاون أو تخاذل". (مقدمة كتاب: عابرون في كلام عابر/ محمود درويش، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1991م.)

و يضيف في المقدمة ذاتها عن القصيدة، محمد بنيس: " و كيف تفصل بين شاعر و شعبه أو بين الشعب و شاعره؟ عبثا فعلوا، تشهيراً و تخوينا، لأن صدور محمود درويش عن غير إملاء الجاهز، و قناعاته بالمستقبل المغاير الذي بدونه لا تكون دولة فلسطين حرة، يظل وفيًا للراسخ فيه، شاعرا قلقا متسائلا، مستقصيا جسورا، يرصد ما يعيد به بناء الذات وسط هدير كلمات لا تسمي زمنها، يتمسك بما يبدد اليأس، يتعلم من القلب أعماقا لا يبلغها البحر، يخرج بالصدقات على عهد الخيانات المريضة، و يصاحب الزمن بالكتابة حتى يكون فيها باحثا عن بذرة التكوين التي لا تشيخ، لأنه هكذا: "سأدافع عن الفروق الصغيرة/ و سأواصل وصف الشجر". " (مقدمة كتاب: عابرون في كلام عابر/ محمود درويش، ص 07). أما محمود درويش صاحب القصيدة ذاتها، فيقول في الكتاب ذاته، مايلي: "إن كثافة خداع النفس تحتاج إلى زمن طويل ليدرك الناظر إلى صورته أن تلك الصورة لم تكن صورته الحقيقية، بل صورة الحالم في مرآة، صورة الواهم و قد اندمج في وهم تفصله عن الواقع آلاف السنين، صورة الخارج من كهف الخرافة إلى تاريخ لا يعرفه. تلك هي حال الإسرائيلي المحاصر، الآن، بآلاف من الأطفال الفلسطينيين، ولدوا على غفلة منه، ولدوا من دون إذن: من أين جاءوا؟ ألم تكن هذه الأرض أرضا بلا شعب؟ و غيرها من الأسئلة الأولى التي تقتضي إعادة إنتاجها، بمثل هذا التدفق، إعادة نظر في الصورة ليس الإسرائيلي معدا لتحمل صدمتها، من فرط ما توغل في تطوير صناعة الوهم الثقيلة. من كونه ضحية صاغت هويتها الإنسانية العالمية من هذا الشرط... إلى الانخراط في دور نقيض و في هوية مضادة، يدرك الإسرائيلي أنه لا يخوض صراعا على صورة الأرض في الحق الإلهي و في الحق الواقعي معا، بل يخوض صراعا مع صورته الحقيقية في الصورة المتخيلة التي أنتجها بأداة لم يعد يحتكرها، و في شرط لم يعد قادرا على تحديد هويته السابقة، و لا قادرا على تبرير كل ما يفعل." (كتاب عابرون في كلام عابر: محمود درويش، ص 25 - 26).

2- القصيدة المقاتلة:

يقول محمود درويش عن غضب الإسرائيليين من هذه القصيدة: "أعلن الإسرائيليون الرسميون الحرب على هذه القصيدة التي لم تكتب بعد، و على القصيدة التي كتبت، لقد حفروا فيها بحرا ليشيروا إلى أنه مقبرة اليهود. فهل بلغ الاستشراق المخابراتي الإسرائيلي هذا المستوى العالي من الجهل: ليتهمني بأني أدعو إلى رمي اليهود في البحر، عندما أطالبهم بالجلاء عن أرضنا المحتلة؟ كما يطالب اليهود يهودهم بهذا الجلاء أم أنهم في حاجة ملحة إلى هذه الفرية لإعادة إنتاج المقومات المنهارة لبداية تحتاج إلى تجديد بدايتها كلما اقتربت من نهاية؟". (عابرون في كلام عابر، ص 45).

و يضيف في المقالة ذاتها من الكتاب ذاته، عن القصيدة ذاتها، محمود درويش: "هل هذه الحملة موجهة إلى القصيدة حقا؟ لا أعتقد ذلك، بل هي جزء من الحملة الرسمية على وحي السلام الجدي، الذي لا يعبر عنه عدد كبير من المثقفين الإسرائيليين و اليهود الداعين إلى الاعتراف بدولة فلسطينية، إلى جانب الدولة الإسرائيلية، فور الانسحاب من المناطق المحتلة. و إلا، فما معنى قول " يديعوت أحرونوت " إنني وجهت ضربة قاتلة إلى اليسار الإسرائيلي الذي يدعو إلى ضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية؟ ما هي الضربة؟ و ما هي القصيدة؟ هل تخلصوا من حمى الأسئلة، و من انشفاق الوعي، و من حرب

الحجر، ليشغلوا الرأي العام بقصيدة؟. و هل هم يخافون القصيدة حقاً؟ لا أظن. و لكنهم امتلأوا حتى التخمة بقصائد المهاجرين الأوائل عن تجفيف المستنقعات في الخضيرة. و عن العودة إلى فردوس تمخض عن جحيم حروب لا نهاية لها، بطائرات تبعد الصراع عن أرض الصراع، إلى أن اندلعت حرب الجوهر في الداخل، فلم يعد في وسع آلة التفوق العسكري أن تعمل، و أصيبت الرؤوس النووية بالشلل، لأن حسم المعركة بما يملكه الإسرائيليون من قوة لا يعني إلا الانتحار". (عابرون في كلام عابر/ محمود درويش، ص 46).

ب - الدلالة العامة للقصيدة:

القصيدة عبارة عن دعوة للجلاء من الأرض المحتلة، و عبارة العنوان المنتشرة في ثنايا النص/ القصيدة تشدد الدلالة على أن الاحتلال عابر لو ظل في الأراضي المحتلة قروناً، و التاريخ يشهد بأمثلة حية في تاريخ الاحتلال الأسود، أنه انجلى بعد أكثر من قرن، كان يعتقد أن ما مارسه كاف لمحو ذاكرة الشعوب و استئصال ذاكرة أرضهم، و كذب الاحتلال و انتصرت الشعوب بذاكرتها و ذاكرة أرضها. و في تاريخ الجزائر مثال شديد الوضوح على هذه الدعوة.

- بلاغة القصيدة:

قبل الحديث عن الصور البيانية حتى في الكلام المباشر، في عبارات هذه القصيدة، أريد أن أشير إلى الصورة الكلية التي أقتنت رسمها، مما جعل الإسرائيلي، يصد من صورته الوحشية كمحتل، و هل هناك صورة أخرى جميلة للمحتل، و هل حدث في تاريخ البشر أن كان الاحتلال جميلاً، و من جماله كتب الذين وقع عليهم الاحتلال قصائد تمجيد الاحتلال؟.

الصور البيانية المفردة:

- أيها المارون بين الكلمات العابرة

- احملوا أسماءكم و انصرفوا

- و اسحبوا ساعاتكم من وقتنا و انصرفوا

- و اسرقوا ما شئتم من زرقة البحر و رمل الذاكرة

- و خذوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا/ أنكم لن تعرفوا

- خذوا حصتكم من دمنا و انصرفوا

- و علينا نحن أن نحرس ورد الشهداء

- كالغبار المر، مروا أينما شئتم/ لا تمرؤا بيننا كالحشرات الطائرة

- لنا قمح نربيه و نسقيه ندى أجسادنا

- كدسوا أو هامكم في حفرة مهجورة، و انصرفوا

- فاخرجوا من أرضنا/ من برنا.. من بحرنا/ من قمحنا.. من ملحنا.. من جرحنا / من كل شيء، و أخرجوا/

من ذكريات الذاكرة/ أيها المارون بين الكلمات العابرة.

من القصائد القليلة التي يتعذر على القارئ أن يقبض على صورة، ليست هي الواقع و الخيال في آن، فعندما نفقد الحق في الوطن، يتساوى الواقع بالخيال، و تصير الأرض و ما يحيل إليها واحد، و المجاز و الحقيقة واحد، و اسمها: الوطن.